د. عبدالناصر فخرو

الأسـرة السعـيـدة

السعادة الأسرية مفهوم مطاط ونسبي يختلف من بيئة إلى أخرى، ويتباين حسب المعتقدات والظروف والإمكانيات، فما يكون نوعا من السعادة في بلد ما لا يعتبر حتى من مقومات السعادة في بلد آخر، فالصلاة عندنا هي مصدر رئيسي للسعادة، بينما يراها آخرون في بلد لاهوتي أنها غير ضرورية، كما أن المال يعتقد بعضهم انه السعادة بحد ذاته، بينما يرى آخرون أن المال هو الوسيلة لتحقيقها، والأمثلة على ذلك كثيرة.

كلنا يأمل أن تكون الحياة الأسرية مثالية وحميمية، ونتطلع دوما إلى الاستفادة من خبرات آبائنا في مواجهة المشكلات، ونقوم بطلب المشورة في مواجهة التحديات، وشيئا فشيئا حتى تتكون لدينا رؤيتنا الخاصة في سعادة أنفسنا وأفراد أسرتنا.

من الكتب الرائعة في هذا المجال The Secrets of Happy Families يذكر مؤلفه عدة ركائز تعتبر أسرارا في قوة وسعادة الأسرة منها:

وضع رسالة ورؤية الأسرة: الأب عليه أن يخصص وقتا دوريا ومستمرا في الحديث عن سبب وجود أفراد الأسرة معا، ويربطها بالدين والشرع والفقه؛ فيبين مثلا أن الانسان يكون الأسرة لعبادة الله ولإنتاج أبناء مهمتهم المضي في بناء الحضارة الإنسانية عن طريق العلم. تكلم لأفراد الأسرة عن معنى أن تكون جزءا من عائلتك، وكون معهم اتفاقا على شكل نقاط يمكن أن يكون دستور البيت وعلقه في مكان واضح في متناول الجميع.

تاريخ العائلة: مهم جدا أن يتعرف أفراد الأسرة جميعهم على تاريخ عائلتهم والأفراد المميزين فيها والبطولات والنجاحات التي حققها الآباء والأجداد وحتى الأشخاص المعاصرون، هذه التغذية العاطفية تعطي الأبناء قوة داخلية بأنهم ينحدرون من أسرة لها مدلولاتها وبصماتها، مع مراعاة عدم المبالغة في ذلك كي يدخل في نفس الأبناء العجب أو التعالي، فسرد الأحداث التاريخية لا يعني أن العائلة رائعة فقط، وانما يعني سرد الأوقات التي واجهتها العائلة وتغلبت عليها، فتزداد ثقة الأبناء أن المشكلات التي يمرون بها سيكونون قادرين على حلها أيضا.

التجمعات الأسبوعية: تحتاج العائلة إلى اجتماع مجلس إدارة أسبوعي إن صحت التسمية، ويحضر هذا الاجتماع جميع المساهمين، الأمر ليس معقدا ولا مكلفا والهون أبرك ما يكون، في التجمع الأسبوعي للعائلة يتم فيه سرد أهم أخبار أفراد الأسرة وطرح القضايا المستجدة والحيوية ومناقشة الأمور السائدة في المجتمع الكبير أو العالم، في هذا التجمع يتم إشراك الجميع سواء بالحديث أو المساهمة في طبق صناعة محلية او حتى المشاركة في الألعاب المشتركة، أعجبتني إحدى الأسر في منطقة الريان يجتمعون - مع وجود الاحترازات الصحية للدولة - ويجلبون النطاطيات أو شركة مشاوي أو فرقة سيرك أو فرقة شعبية لإحياء هذا التجمع الأسبوعي، ويجتمعون تارة في البيت الكبير أو العنة او المزرعة أو يقومون بكشتة في أحد الأماكن العامة.

آليات الحوار الثنائي والجماعي: إن وضوح آلية الحوار بين جميع أفراد الأسرة تعطي راحة وشعورا بالعدالة وتقود إلى السعادة؛ فالصغير يحترم الكبير ويقدمه على نفسه في الحديث، والكبير يقدر آراء الصغير ويقيمها ويعطيها وقتا للفهم والمناقشة.

التنشئة منذ الصغر تحتاج إلى تعليم مباشر وتطبيق عملي بأسس الحوار وجميل أن يتفق الزوجان على اصطناع مواقف مخططة لهذا الغرض.

الاهتمام المستمر: إن إظهار الاهتمام المستمر بكافة أفراد الأسرة يعتبر مصدرا كبيرا للسعادة والترابط، الاهتمام له صور عدة مثل السؤال عن الحال، أو المساهمة في حل المشكلات أو متابعة تطورات موضوع مهم لأحدهم تم طرحه، يعجبني الأب الذي يتابع قضايا مجتمعية لها علاقة باهتمام الأم أو أحد الأبناء.

العائلات بأشكالها وأحجامها المختلفة تتفاعل بين أفرادها في عالم يتحرك أسرع بكثير مما كان عليه من قبل، وتظهر الأبحاث أنه يمكن لأي شخص أن يكون لديه أسرة سعيدة، متى كانت لديه رؤية واتفاق بين الأطراف على إطار واضح ضمن قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، ويوجد العديد من المؤسسات الحكومية والمستقلة في دولة قطر تسعى لاستقرار الأسرة وسعادتها وتقدمها، وتعينها على أداء مهامها المجتمعية.

آخر المطاف:

كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والمسؤول الذي ينفق وقته في التوافه لن يجد متسعا من الوقت للعظائم. وصلت؟

همسة:

من الأدب ألا تسأل أحدا عن شيء يخفيه عنك، فإن لم يكن ظاهرا لك فهو غالبا لا يخصك. دمتم بود

afakhrou@qu.edu.qa